وكيف لا يعاقبك بمنع النصرة وقد نسيته ، واقتدرت فى أمره ، وقد أمرك بأن تقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فمن اقتدر فى أمره ، والأمر كله لله ، والخلق لله ، والقدرة لله ، عوقب بأن يخذل ، وعَرف بالخذلان أن اقتداره كان خطأ ، وأنه لا يقدر إلا به ، وقال تعالى : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[1] .

النصرة

قال له قائل : فما النصرة ؟ هل يمكن أن تُوصف ؟

فقال : إن نور المعرفة فى القلب ، حتى يخرج إلى عين القلب ، والهوى قائم على القلب حجابًا ، فإذا جاهد العبد هذا الهوى حق المجاهدة ، وحق جهاده هو غاية طاقة العبد ، فنصرته أن يهديه سبيله ، وهو أن يجعل له طريقًا

---

(١) سورة آل عمران – من الآية رقم ١٦٠ .

من قلبه إليه ، حتى يصير عين قلبه ، كأنه يراه من غير كيفية .

وهو قول جبريل – عليه السلام – لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث سأله عن الإحسان ، فقال : « **أنْ تعبد الله كأنك تراه** »[1] . وقال فى حديث آخر : « **إن أقوامًا أيقنت قلوبهم ، حتى كأنهم عبدوا الله على رؤية** » .

قال ابن عمر ، رضى الله عنهما فى حديث : « إنا كنا نتراءى الله تعالى بين أعيننا فى الطواف » . حدثنا بذلك قتيبة ، عن محمد بن منير ، عن نافع ، عن ابن عمر .

وقال فى حديث حارثة ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كيف أصبحت ؟** » قال : مؤمنًا حقًّا . فسأله عن الحقيقة ، فقال : « كأنى أنظر إلى ربى على عرشه » ، هذا فى رواية ، حدثنا أبى ، عن ابن أبى حبيش ، عن عبد العزيز بن أبى دؤاد . وأما رواية ثابت عن أنس ، فإنه روى : « كأنى أنظر إلى عرش ربى » وهذا النوع فى الآثار كثير .

---

(١) البخارى جـ٨ ص ٥١٣ ، ومسلم جـ١ ص ٣٩ ، والترمذى جـ٥ ص ٦ وأبو داود وابن ماجه .

وإنما أدرك هذا حارثة بمجاهدات النفس ، ألا ترى إلى قوله : « عَزَفَتْ نفسى عن شهوات الدنيا ولذاتها » فهذا قطع الهوى ، فإذا قطعه هداه الله طريقه ، فإذا نظر صار كأنه يراه بلا كيف ، وهكذا وعد فى كتابه ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[1] .

فإذا هداه طريقه ، لم يبق على قلبه حجاب للشهوة والهوى ؛ لأنه فتح طريق قلبه إليه ، فحينئذ يمكنه السكون إليه ، ويطمئن القلب ، ويثق بوعده ، ويأتمنه على نفسه ، ألا ترى إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم حيث حكى عنهم ، قالو : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾[2] . . الآية .

فَأُخْبِرُوا أنهم إنما قدروا على التوكل ، وهو تفويض أمر النفس إليه ، بأنه هداهم لسبيله ، فزال الحجاب ، أعنى الهوى والشهوات ، عن بصر القلب ، فلم يبق بين يدى قلوبهم شىء يحجبهم ، فصارت الأمور لهم كالمعاينة والمشاهدة ، ألا ترى

---

(١) سورة العنكبوت – من الآية رقم ٦٩ .

(٢) سورة إبراهيم – من الآية رقم ١٢ .

إلى قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حيث وصف القلب ، فقال : « **أبصر الغيب بالغيب فآمن** » ، أو كما قال . فهذه نصرة الرب عز وجل .

فإذا تركت المجاهدة على الحقيقة منعك النصرة ، فبقيت مخذولًا ، مأسورًا فى يدى الشهوة والهوى ، فإذا صار القلب مأسورًا ، فهو كملك مأسور فى يد العدو ، فإذَنْ تعذر عليه الأعوان والجند ، بل يذلون وينهزمون فى الملاهى والأباطيل .

المجاهدة

قال له قائل : فكيف تكون المجاهدة على الحقيقة ، إذ قال : « **حق جهاده ؟** » .

فقال : اعتبر مجاهدٌ الظاهر ، وامتثل رجلين ، أحدهما سلاحه تام ، وحمل نفقة سنة ، وتجهز بما يحتاج إليه ، ورافق فى الطريق رفقاء ، وتبسَّط فى مَسِيرِه وطَرِبَ مع رفقائه ، وتلذَّذ برؤية الكون ولقاء الناس .

وفرح بما نُسب إليه من الجهاد ، والغزو ، فقيل : هذا فلان الغازى ، وطمعت نفسه فى علو المرتبة ، وارتفاع المنزلة